الثُّنَائِيَّاتُ الضّدّيّةُ في نماذج من شِعْرِ أَمل دنقل
قِرَاءَةٌ تحليليَّةٌ تَطْبِيْقِيَّة

* أ. د. محمد اسماعيل بصل ـ مشرف رئيس
**أ. د. تيسير سليمان جريكوس ـ مشرف مشارك
*** باسم حسن عباس

□ المُلَخَّصُ □

تحاولُ هذهِ الدِّراسةُ قراءةَ نماذج من تجربةِ أمل دنقل الشِّعريَّةِ مِنْ خلالِ النَّفاذِ إليها مِنْ زاويةٍ لغويَّةٍ عضويَّةٍ تشكِّلُ الثُّنائيَّاتُ الضِّدِيَّةُ عُمْدَتَهَا، ويدلُّ التَّناولُ النَّصِّيُّ عَلَى دَوْرِ الثُّنائيَّاتِ الضِّدِّيَّةِ الفاعلِ فِيْ نَسْجِ اللُّغةِ المُتَحَقِّقَةِ مِنْ ناحيةٍ، وَفِي الإِسْهَامِ بِعَمَلِيَّةِ الخَلْقِ الأَدَبِيِّ؛ تلكَ العمليَّةُ الَّتي تتمُّ عَلَى تفاعلاتٍ سياقيَّةٍ منتجةٍ لفضاءاتٍ دلاليَّةٍ توسِّعُ دائرةَ الإيحاءِ مِنْ ناحيةٍ ثانيةٍ. وَقَدْ تكرَّرتِ الثُّنائيَّاتُ الضِّدِّيَّةُ على مساحةِ النَّصِّ المقروءِ، وَظَهَرَ. عَلَى نَحْوٍ جَلِيٍّ . الانزياحُ الإيجابيُّ الَّذي عَدَلَ بالعلاقةِ الثَّابتةِ الصَّامِتَةِ نَحْوَ عَلاَقَاتٍ ديناميَّةٍ متحرِّكةٍ كَسَرَتِ المَألوفَ مُوَلِّدَةً علاقاتٍ متوازيَّةً أحياناً، ومتكافئةَ الدَّلالةِ، أو متخالفةً لَمْ تَصِلْ إلى حَدِّ المعانِي الضِّدِّيَّةِ، في أحيانٍ أخرى؛ وهنا يُلْحَظُ أنَّ الدَّالَّ النَّصِّيَّ(الثُّنائيَّات الضِّدِّيَّة) يعومُ بينَمَا المدلولُ ينزلقُ بفعلِ تَفَاعُلَاتِ البُنَى السِّياقيَّةِ النَّصِّيَّةِ المُتَحَقِّقَةِ، فَتَتَخَلَّقُ شعريَّةُ اللُّغةِ الدّنقليَّةِ بِدَهْشَتِهَا، وَإِغْرَابِهَا، وَمُجَاوَزَتِهَا الفنّيَّةِ.

الكلماتُ المفاتيحُ: الثُّنائيَّاتُ الضِّدّيَّةُ، النَّصُّ، أمل دنقل.

* ـ أستاذ في كلية الآداب والعلوم الإنسانية ـ جامعة تشرين ــ اللاذقية.
** ــ أستاذ في كلية الآداب والعلوم الإنسانية ـ جامعة تشرين ـ اللاذقية.
*** طالب دكتوراه في كلية الآداب والعلوم الإنسانية ـ جامعة تشرين ــ اللاذقية.

# of Amal Opposite Dualities in Examples Dunqul's Poetry

Analytical reading of the text

[*] D. MOHAMMAD Ismail basal
[**] D. Tayeer Suleiman grikos
[***] Bassem Hassan Abaas

□Abstract□

This piece of research attempts to study the poetical experience of Amal Dunqol through examining the linguistic aspect that the binary dichotomies form its basis. Due to this procedural parameter.

The textual analysis pinpoints the influential role of the binary dichotomies in the body of the manipulated language on the one hand, and in contributing to the process of literary creativeness; such a process that builds on contextual conconrdences designed for semantic interpretations that extend the domain of inference on the other hand. The binary dichotomies recur throughout the readable text, and quite obviously, the positive connotativeness has transferred the silent static relationship into active dynamic relationships that have exceeded the norm toward creating parallelistic relations sometimes, and toward balanced or imbalanced semanticity that have not reached the binary synonyms at other times. Here, we realize that textual signifier (the binary dichotomies) floats whereas the signified connotes owing to the achievable textual and contextual structures, thus emerges the poeticality of Dunqol's language in its extravagance, strangeness and artistic adjacency.

Keywords: Binary Dichotomies; Text, Amal dunkule.

[*] professor at the faculty of Arts and humanities –Tishreen university – lattakia.

[**] professor at the faculty of Arts and humanities –Tishreen university – lattakia.

[***] Phd at the faculty of Arts and humanities –Tishreen university – lattakia.

المقدّمة:

لو عُدْنَا إلى الدّراساتِ الأدبيّةِ فإنّنا نعثرُ على مناهجَ مختلفةٍ يعتمدُها هذا الدّارسُ أو ذاكَ من غيرِ النّظرِ فيها، أو محاكمتِها للوقوفِ على النّقاطِ السّلبيةِ، والنّقاطِ الإيجابيّةِ، وكثيراً ما نجدُ دراساتٍ تتناولُ العواملَ المؤثِّرةَ في الأدبِ، وتربطُ الأدبَ أو النَّصَّ بظروفِ الواقعِ السّياسيِّ، والاجتماعيِّ، والاقتصاديِّ، وتُلحِقُ النَّصَّ بمدرسةٍ أدبيّةٍ، أو تيّارٍ أدبيٍّ دونَ محاولةِ خَلْقِ أيِّ نوعٍ مِنَ الانسجامِ بينَ هذهِ النُّظُمِ الدّراسيّةِ والظّروفِ الخاصّةِ بالأدبِ العربيِّ موضعِ الدّراسةِ.

وتنبني هذه الدراسة على فرضية تضمين الشاعر أمل دنقل في شعره للثنائيات الضدّية ذات الشحنات الدلالية، وربما كان اعتماده عليها مرتبطاً بالواقع الخارجي ومن هنا يحاول البحثُ الإجابة عن مجموعة من الأسئلة نذكر منها:

. ما سبب اعتماد الشاعر أمل دنقل للثنائيات الضدية في شعره؟

ـ ما العلاقة بين استخدام الثنائيات الضدّية والواقع الخارجي المتمثل بحركة المجتمع العربي وتقلباته؟

ـ هل يضمن الشاعر الثنائيات الضدية دلالات ثانوية تخرجها عن المعيار القواعدي؟

ـ كيف يمكن للمتلقي الناضج قراءة الثنائيات الضدية في شعر أمل دنقل؟

أما عن الصعوبات التي واجهت هذا البحث فيمكن حصرها في الجانب التطبيقي لأن قراءة النص الشعري تتطلب امتلاك الأدوات المعرفية بوصفها مفتاح النص، ومن الصعوبة القبض على فضاءات الإبداع أو الإحاطة بها، وفيما يتعلق بالثنائيات الضدية فإنه من الصعب أن يحكم القارئ على دلالاتها العميقة كلها ولا سيما عند شاعر امتلك ناصية اللغة، ويضاف إلى ذلك أن معظم الدراسات التي تناولت شعر أمل دنقل ـ على قلتها ـ لا تدرس النص الشعري بقدر ما تدرس حياة الشاعر أمل دنقل.

هدف الدراسة:

تتسم لغة الشاعر أمل دنقل بالطاقة الجمالية المثيرة التي تُخَلْخِلُ طبيعيّةَ العلاقاتِ داخلَ الدَّوَالِّ، وَتَهْدمُ المألوفَ، وتخلقُ إِيْحَاءاتٍ جديدةً مدهشةً، وَعَلَى هَذا الأَسَاسِ كَانَ اختيارُ هَذَا البَحْثِ **(الثُّنَائِيَّاتُ الضّدّيّةُ)** بعيداً عَنِ الدِّراساتِ النظرية التي تؤُصّل للثنائيات الضدية؛ وَذَلِكَ مِنْ أَجْلِ الوقوفِ عَلَى الكامنِ وراءَ الشَّكْلِ الظَّاهِرِيِّ للنَّصِّ الشِّعْرِيِّ عِنْدَ أمل دنقل مِنْ جِهَةٍ، وقراءة النَّص في معطاه المضمونيّ مِنْ جِهَةٍ ثَانِيَةٍ.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في إلقاء الضوء على الثنائيات الضدية في شعر أمل دنقل، ومن ثم الوقوف على الدلالات التي تتولد من خلال تفاعلها مع سياقها وعلاقاتها مع العناصر الأخرى ضمن اللغة الشعرية.

منهج الدراسة:

اعتمدت هذه الدراسة المنهج الوصفي ومن خلاله ترصد الدراسة الثنائيات الضدّية في نماذج من شعر الشاعر أمل دنقل من أجل بيان أهمية استخدامها واستنطاق دلالاتها ضمن اللغة الشعرية.

الثُّنَائِيَّاتُ الضّدّيّة في الخطاب الشّعريّ:

إنَّ الثنائياتِ تشكّلُ لغةً معيّنةً، وهذهِ اللّغةُ مليئةٌ بالمعانِي التّاليةِ لفعلِ القراءةِ، والعلاقةُ بينَ هذهِ الثّنائيّاتِ والمَعْنَى ليستْ علاقةً أُحَادِيَّةً ؛ أي أنَّ الثّنائيّاتِ لا تشيرُ إلى معنَاهَا المعجميِّ، بل هيَ المعنى النَّصِّيِّ المتحرِّكِ ذاته، وهذا المعنى لا يمكنُ الحصولُ عليهِ مُنْعَزِلاً عَنْ حركةِ القصيدةِ، فهيَ تُمَثِّلُ أفكارَ الشِّعْرِ الخلَّاقَةَ لحظةَ الإبداعِ.

إنَّ القصيدةَ موضوعٌ لغويٌّ مِنْ نوعٍ خاصٍّ، فاللّغةُ تُوَظَّفُ وفاقاً لمعطياتٍ متميّزةٍ تَتَّسِقُ مَعَ المعجمِ الشّعريِّ الذي تولِّدُهُ لحظةُ الخَلْقِ الإبداعِيِّ، وَقَدْ تتخالفُ مَعَ المعجمِ اللّغويِّ، فخصوصيّةُ النّصِّ "تتمثّلُ فِي كونِهِ عملاً لغويّاً مِنْ جهةٍ، وعملاً

جماليّاً مِنْ جهةٍ ثانيةٍ؛ أَيْ فِي كونِهِ طريقةً نوعيّةً في استخدامِ اللّغةِ، وطريقةً نوعيّةً في الاستكشافِ والمعرفةِ" [1].

والثّنائيّاتُ الضّديّةُ قَدْ تكشفُ عن مظاهرِ الصّراعِ الخارجيِّ، وَقَدْ تكشفُ عَنْ دُنْيَا الشَّاعِرِ الدّاخليّةِ، وعَنِ التّصدّعِ الحاصلِ في داخلِهِ وفِي علاقتِهِ مَعَ الخارجِ. ووفرةُ الثُّنائيَّاتِ في النَّصِّ الأدَبِيِّ دليلُ انسجامِ إيقاعاتِهِ، وانفتاحِهِ على أكثر مِنْ محورٍ، فيمكنُ أَنْ نعثرَ على مجموعةِ أنساقٍ متضادَّةٍ في النَّصِّ الأَدبيِّ الواحدِ تضفِي عليهِ مزيداً مِنَ الحيويَّةِ والحركةِ لِذَا تجتمعُ فيها الخصائصُ الجماليّةُ.[2]

وهذهِ الثّنائيّاتُ تُشارك في خلقِ شعريّةِ النّصِّ بوصفِهَا خالقةً للمعنَى بحكمِ تحوّلِ الدِّلَالَةِ مِنْ سكونيّتِهَا المعجميّةِ إلى واقعٍ جديدٍ يتخلّقُ مِنَ النّصِّ "فوجودُ اللّغةِ مُرْتَهنٌ بوجودِ اللّغةِ المعياريّةِ"[3].

والقضيَّةُ ليستْ مجرَّدَ إيجادِ موضوعاتٍ جديدةٍ، بَلِ القضيّةُ في كيفيَّةِ التّعبيرِ الشِّعريِّ عَنِ الفكرةِ أو الموضوعِ "فَلِكَيْ يستطيعَ الشَّاعِرُ أَنْ ينقلَ إِلَى القَارِئِ المُنْحَنَى الدَّقيقَ لفكرِهِ وشعورِهِ... فإنّهُ يُضطَّرُ إِلَى ابتكارِ شكلٍ جديدٍ للتَّعبيرِ" [4].

وهذا الشّكلُ قَدْ يمثّلُ جملةً شعريّةً متكرّرةً في أعمالِ هذا الشّاعرِ، والجملةُ الشّعريُّة أصغرُ وحدةٍ أدبيَّةٍ فِي نظامِ الشِّفْرَةِ اللّغويّة لا يمكنُ كسرُهَا إِلَى مَا هُوَ أصغرُ مِنْهَا، وهذهِ الجملةُ متمايزةٌ عَنِ الجملةِ النّحويَّةِ، وخارجةٌ عَلَيْهَا [5].

---

[1] – أدونيس، سياسة الشّعر، دراساتٌ في الشِّعْرِيَّةِ العربيّة المعاصرة، دار الآداب، بيروت ، ط1، 1985م ، ص50.

[2] – انظر: الدّيّوب، سمر، الثُّنائيّاتُ الضّدّيَّةُ – دراساتٌ في الشِّعْرِ القديمِ، وزارةُ الثّقافةِ، دمشق، ط1، 2009م، ص12.

[3] – انظر: مقالة موكاردوفسكي، اللّغة المعياريّة واللّغة الشّعريّة، ت : الرّوبي ، إلفت كمال، مجلة فصول ، المجلّد الأوّل/ العدد الرّابع ، 1984م ، ص46.

[4] – خير بك، كمال، حركة الحداثة في الشِّعر العربيِّ المعاصر، دار الفكر، بيروت، ط2، 1993م،ص185.

[5] – انظر: الغذّامي، عبد الله، الخطيئة والتّكفير، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، القاهرة، ط4، 1998م، ص93.

إنَّ التَّضَادَّ – بوصفه ظَاهِرَةٍ لُغَوِيَّةٍ – ليسَ أمراً مُسْتَحْدَثاً، وَإِنَّمَا أَمْرٌ معروفٌ للقدماءِ إلَّا أَنَّ تَوَجُّهَاتِهِم التّنظيريَّةَ حَدَّتْ مِنْ نظرتِهِم التّحليليَّةِ، وَمِنَ الخَوْضِ فِي فَضَاءَاتِ النَّصِّ، والقبضِ عَلَى الوجدانيَّاتِ التي تثيرُهَا الثُّنائيَّةُ الضّدّيّةُ فالخطابُ الشّعريُّ حركةُ إبداعٍ، وإغرابٍ، وَخَلْقٍ، ودهشةٍ، لا حركة تقليدٍ ومحاكاةٍ فوتوغرافيَّةٍ حَدِّيَّةٍ، وهذا مَا يمنحُهُ حضوراً توالديّاً يتكوّنُ مِنْ خلالِ ديمومةِ الفعلِ، والتّفاعلِ بينَ الأقطابِ، وتحوّلاتِ اللّغةِ؛ "فكلُّ مَا يوجدُ أو نتخيَّلُ أنّهُ موجودٌ يمثِّلُ قطباً فِي الصِّراعِ، وكلُّ المشاعرِ والآراءِ، والأفكارِ أقطابُ صراعٍ، ولكلِّ قطبٍ قطبُهُ المعاكسُ... فالأضدادُ تسهمُ فِي إضفاءِ الحياةِ والمَعْنَى عَلَى الأشياءِ التي تقفُ مِنْهَا موقفاً مُضَادّاً" [1].

فالاختلافاتُ التي يتميّزُ بها التّضادّ من شأنِهَا أَنْ تُنَمِّي فَي المتلقِّي روحَ التَّفاؤُلاتِ التَّأويليَّةِ المُتَلَذِّذَةِ بإغواءِ متعتِهَا الكشفيّةِ، ففِي الجملةِ الشِّعريَّةِ القائمةِ على التَّضادِّ تكمنُ مجموعةٌ كبيرةٌ مِنَ الأسئلةِ والأجوبةِ بتفاعلاتِهَا يمكنُ أَنْ تحقّقَ للنَّصِّ مَا يمكنُ أَنْ يُطْلَقَ عليهِ التَّماميَّة الفنّيّة...، فجملةُ التّضادِّ الشّعريّةُ تشكِّلُ محَاجَّةً شعريّةً تحقّقُ مرونةَ الخطابِ الشّعريِّ، وتجعلُ عناصرَهُ فِي علاقةٍ تفاعليّةٍ، كَمَا تُسْهِمُ فِي تكثيفِ رؤيةِ / رؤيا الشّاعرِ، "فالذَّاتيَّةُ والتّفاعلُ هُمَا جوهرُ الخطابِ الشّعريِّ" [2].

إنَّ اللّغةَ العاديّةَ تقومُ عَلَى الإقناعِ الفكريِّ؛ أَيْ تستهدفُ مخاطبةَ العقلِ، أمّا لغةُ الخطابِ الشّعريِّ فَتُشْحَنُ بروحِ التّجربةِ الشّعريّةِ المُؤَثِّرةِ، وَتُقْصَدُ لذاتِهَا "فتجاورُ الكلماتِ المتشابهةِ، وارتباطُ المقولاتِ النّحويّةِ ببعضِهَا البعض، أو اتّساعُ الفضاءِ أَوْ ضيقُهُ هِيَ أشياءُ لَهَا دِلَالَتُهَا" [3]

[1] – الشّمعة، خلدون، النّقد والحريّة، منشورات اتّحاد الكتّاب العرب، دمشق، 1977م، ص251.

[2] – مفتاح، محمد، تحليل الخطاب الشّعريِّ، دار التّنوير، بيروت، لبنان، ط1، 1985م، ص148.

[3] – المرجع السّابق نفسُهُ، ص127.

ويمكن القول إنَّ التقابلاتِ المتضادّة تمنحُ الخطابَ الشِّعريَّ بُعْداً فَنِّيَّاً متمايزاً، وتأثيراً فِي فعاليّةِ عنصرِ التّشويقِ، وفِي خلقِ الصَّدْمّةِ الانفعاليّةِ، وتحقيقِ الإمتاعِ، والتّحريضِ، والتّعبيرِ عَنِ الواقعِ المَعِيْشِ، واستشرافِ المستقبلِ؛ وبذلكَ تكونُ العلاقاتُ المتضادَّةُ إسقاطاً غايتُهُ معالجةُ الحاضرِ بالماضِي، وَعَلَى هذا الأساسِ يمكنُ النَّظَرُ إِلَى هذهِ الثُّنائيّاتِ عَلَى أَنَّهَا لُغَةٌ مُعَادِلَةٌ للأفكارِ والمواضيعِ القائمةِ فِي ذهنِ المبدعِ مِنْ جهةٍ، والمُتَحَقِّقَةِ فِي العملِ الإبداعيِّ مِنْ جهةٍ أُخْرَى.

الثُّنَائِيَّاتُ الضّدّيّةُ فِي شِعْرِ أمل دنقل:

إنَّ تشبيهَ الشّعرِ بالموسيقى لَا يرجعُ إلى النَّغمةِ الشّعريّةِ وقربِهَا مِنَ النَّغْمَةِ فِي الموسيقى، بِقَدْرِ مَا يرجعُ إلى الامتدادِ والتّنازعِ بينَ طرفيِّ الامتدادِ؛ أَي اختلاف الحركةِ بينَ صعودٍ وهبوطٍ، والانتقال بينَ التَّأَزُّمِ والتّفريغِ، وربَّمَا كانتْ هذهِ الحركةُ الضّدّيّةُ ظاهراتيّاً تحيلُ إلى حالةٍ توافقيّةٍ فِي العمقِ، فيذوبُ المرئيُّ والمسموعُ بعضهما مع بعض ويتداخلانِ في المُجَرَّدَاتِ "فتجريدُ الموجوداتِ الفرديّةِ مِنْ حدودِهَا وأبعادِهَا، يقابلُهُ تجريدُ الكُلِّ مِنْ حدودِهِ ومادَّتِهِ عَنْ طريقِ الحَرَكَةِ المُمْتَدَّةِ"[1].

وبهذهِ الثّنائيّاتِ، وَحَرَكَتِهَا، تَتَّسِعُ الهُوَّةُ بينَ لغةِ الشِّعْرِ السِّحريَّةِ ولغةِ الكلامِ العاديَّةِ، فالثنائيات الضِّدِّيَّةُ ذَاتُ المُوَاصَفَاتِ الأَدَبِيَّةِ تجعلُ للنَّصِّ الشِّعْرِيِّ طبقاتٍ متعددةً مِنَ المعانِي والدِّلَالَاتِ الثَّرِيَّةِ.

إنَّ اللّغةَ فِي جوهرِهَا علاماتٌ دَالَّةٌ عَلَى مَعَانٍ، واللّغةُ الشِّعْرِيَّةُ مُتَحَرِّكَةٌ بينَ المُسْتَوَيين الظّاهريِّ والباطنيِّ، أَوْ مَا وراء اللّغةِ، وَغَائِيَّةُ كُلِّ تحليلٍ نصّيٍّ هِيَ

[1] – مكّاوي، عبد الغفّار، ثورة الشّعر الحديث، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، القاهرة، ط2، 1998م ، ويُنظر: هوجو فريدريش ، بناء الشّعر الحديث، دار روفولت، هامبورغ، ط2، 1968م، ص155.

الكشفُ عَنِ المستويينِ؛ الظّاهريِّ الأُفُقِيِّ والماورائيِّ العميقِ. وَعَلَى هَذَا الأساسِ نقولُ: إنَّ الثّنائيّاتِ لا تقلُّ قيمةً بلاغيَّةً عَنْ أيِّ مظهرٍ مِنَ المظاهرِ الأُخْرَى.

ففِي النَّصِّ (الدُّنقليِّ) مظاهرُ شكليَّةٌ ومَضْمُوْنِيَّةٌ متعددةٌ يمكنُ أَنْ نعدَّهَا مفاتيحَ أَوْ مسالكَ مؤدّيةً إلَى هيكليَّةِ النّصِّ العامِّ، ثُمَّ احتضانِ النّصِّ ومحاولةِ تطويقِ أهمِّ العناصرِ المُكَوِّنَةِ لَهُ، بوصفِ النّصِّ الشّعريِّ بنيةً داخلَ بنيةٍ، والبنيةُ الأمُّ تَتَأَسَّسُ عَلَى المجموعاتِ البنيويَّةِ الصُغْرَى لكنَّهَا ليستْ مُحَصِّلَةً لَهَا [1].

وَمِنَ الملحوظِ أَنَّ قَصَائِدَ أمل دنقل تؤكّدُ رؤياهَا عَنْ طريقِ المفارقةِ الضدّيّةِ أَوْ الثّنائيّات؛ "فالكلمةُ عندَ أمل دنقل تكتسبُ طَعْماً خاصّاً، وتحملُ دِلَالَةً متميّزةً بالرَّمْزِ المُبَرَّأِ مِنَ الغُمُوضِ"[2]

ففاعليَّةُ الثّنائيّاتِ الضّدّيّةِ لَا تكُونُ بفعلِ التّقابلِ بينَ المفرداتِ أو الجملِ، بَلْ مِنْ خلالِ الدِّلَالاتِ التي تنتجُهَا ارتباطاتُ هذهِ الثّنائيّاتِ داخلَ النَّصِّ، والتِي قَدْ تظهرُ عَلَى مستوَى الجملةِ الواحدةِ، أَوْ فِي ارتباطِهَا مَعْ جملةٍ أُخْرَى، أَوْ فِي السِّياق النّصّيِّ الذي تَرِدُ فِيْهِ، أَوْ مِنْ خلالِ التّحوّلِ الحركيِّ للمفرداتِ؛ إِذْ تعبّرُ عَنْ دِلَالَتَيْنِ متناقضتينِ فِي سياقِ النّصِّ الشّعريِّ الواحدِ.

[1] – صمّود، حمّادي، قلب الشّاعر لأبي القاسم الشّابّي، محاولةُ قراءةٍ، مجلّة فصول، المجلّد الأوّل، العدد الرّابع ، منشورات الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، القاهرة، 1998م.

[2] – مازن ، أمين ، عن التّجربةِ الشّعريّةِ لأمل دُنقل ، مجلّة الفصول الأربعة ، السّنة (6) ، العدد (21) ، منشورات رابطة الأدباء والكتّاب والفنّانين ، الجماهريّة العربيّة اللّيبيّة الشّعبيّة، طرابلس،2008م .

• **قراءةٌ تَحْلِيْلِيَّةٌ نَصِّيَّةٌ (نَماذِجُ مُؤَمْثَلَةٌ):**

قالَ الشَّاعِرُ أمل دُنْقُل فِي مَقْطَعٍ مِنْ إحْدَى قَصَائِدِهِ الأَخِيْرَةِ:

وَجْـهٌ

كَانَ يَسْكُنُ قَلْبِي

وَأَسْكُنُ غُرْفَتَــهُ

نَتَقَاسَمُ نِصْفَ السَّرِيْرِ،

وَنِصْفَ الرَّغِيْفِ

وَنِصْفَ اللُّفَافَـةِ،

وَالْكُتُبَ المُسْتَعَارَة

هَجَرَتْهُ حَبِيْبَتُهُ فِي الصَّباحِ فَمَزَّقَ شِرْيَانَهُ فِي المَسَاء،

ولَكنَّهُ بَعْدَ يَوْمَيْنِ مَزَّقَ صورَتَهَا

وانْدَهَشْ

خَاضَ حَرْبَيْنِ بينَ جُنودِ المِظَلَّاتِ

لَمْ يَنْخَدِشْ

واسْتَرَاحَ مِنَ الحَرْبِ...

عَادَ لِيَسْكُنَ بَيْتاً جَدِيْداً

وَيَكْسَبَ قُوْتاً جَديداً

يُدَخِّنُ عُلْبَةَ تَبْغٍ بِكَامِلِهَا

وَيُجَادِلُ أَصْحَابَهُ حَوْلَ أَبْخِرَةِ الشَّايِ...

لَكِنَّهُ لَا يُطِيْلُ الزِّيَارَةَ...

عِنْدَمَا احْتَقَنَتْ لَوْزَتَاهُ اسْتَشَارَ الطَّبِيْبَ،

وَفِي غُرْفَةِ العَمَلِيَّاتِ...

لَمْ يَصْطَحِبْ أَحَداً غَيْرَ خُفٍّ...

وأنْبُوْبَةٍ لِقِيَاسِ الحَرَارَة

فَجْأَةً مَات!
لَمْ يَحْتَمِلْ قَلْبُهُ سَرَيَانَ المُخَدِّرِ،
وانْسَحَبَتْ مِنْ وَجْهِهِ سَنَوَاتُ العَذَابَاتِ،
عَادَ كَمَا كَانَ طِفْلاً...
يُشَارِكُنِي فِي سَرِيْرِي
وَفِيْ كَسْرَةِ الخُبْزِ والتَّبْغِ
لَكِنَّهُ لا يُشَارِكُني... فِي المَرَارَة! [1]

يشكل العنوان في النّصِّ السّابِقِ؛ وهوَ مقطعٌ مِنْ قصيدةِ **(الورقة الأخيرة – الجنوبيّ)** عَتَبَةَ النَّصِّ/ المَقْطَع، ولكنَّهُ العنوانُ الذي امتدَّتْ إِشْعَاعَاتُهُ عبرَ ثنائيَّاتِ الحضورِ والغيابِ، والصِّحَّةِ والمَرَضِ، والحياةِ والموتِ، والبقاءِ والفناءِ، والعذابِ واللَّاعَذاب...إلخ. وتتوازَى الثُّنائيَّاتُ الضّدّيّةُ عَلَى النَّحْوِ الآتِي:

- **هجرُ الحبيبةِ فِي الصّباحِ، تمزيقُ الشّريانِ فِي المساءِ، الحضورُ بعدَ يومينِ، تمزيقُ صورةِ المحبوبةِ، والاندهاشُ.**
- **خوضُ حربينِ وَعَدَمُ الانخداشِ، الاستراحةُ والسَّكَنُ، وَمُجَادَلَةُ الأصحابِ، احتقانُ اللّوزتينِ ثُمَّ الموتُ، انعدامُ الصّحبةِ غيرُ خُفٍّ وأنبوبةٍ لقياسِ الحرارةِ.**

وكلِّ العبارات السّابقة تجسِّدُ جدليَّةً متَلازمةً تقومُ عَلَى التَّنَازُعِ الوجدانيِّ بينَ لحظاتِ الحضورِ/ الحياةِ والموتِ / الغيابِ.

ولكنَّ هذا الوجهَ بعدَ موتِهِ سرعانَ مَا يقفزُ في مُخَيِّلَةِ الشَّاعِرِ إِلَى التّفاؤلِ، إِلَى بداءةِ الأشياءِ، إِلَى الطّفولةِ، إِلَى النَّقَاءِ

وَقَدْ تُخْفِي لغةُ أمل دنقل فِي قَصِيْدَتِهِ (الوَرَقَةُ الأَخِيْرَةُ – الجَنُوبِيُّ)، وَهِيَ آخِرُ قَصِيْدَةٍ كَتَبَهَا، دِلَالَاتٍ لَا شُعُورِيَّةً جَمْعِيَّةً مِصْرِيَّةً لَهَا أبعادُهَا السّيسيولوجيّةُ

[1] – دنقل، أمل، الأعمال الشّعريّةُ الكاملة، مكتبة مدبولي، لا. ط ، لا، ت، ص 434–436.

الضَّارِبَةُ في التّاريخِ المِصْرِيِّ القديمِ؛ تلكَ الأبعادُ التي كانتْ ولا تزالُ حاضرةً في ثنائيّةِ أهلِ الجنوبِ وأهلِ الشّمال، وتبدو تجلّياتُهَا في الحياةِ، والأَدَبِ، والميثولوجيا إلى يومِنَا هَذَا، وَقَدْ يكونُ أمل دنقل الإنسانُ قَدْ نَصَّفَ سَرِيْرَهُ لِوَجْهٍ يحملُ ملامِحَ أيديولوجيَّةٍ مشتركةٍ عنوانُها اليسارُ السّياسيّ واشتراكيّة العَدْلِ الإنْسَانِيّ.

وجاءَ فِي قصيدةِ **(ضدّ مَنْ..؟)** للشّاعرِ أمل دنقل:

فِيْ غُرَفِ العَمَلِيّاتِ،
كَانَ نقابُ الأَطِبَّاءِ أَبْيَض
لَونُ المَعَاطِفِ أَبْيَــض،
تاجُ الحَكِيْمَاتِ أَبْيَض، أَرْدِيَةُ الرَّاهِباتِ، الملاءَاتُ،

...

هَلْ لِأَنَّ السَّواد...
هُوَ لَوْنُ النَّجَاةِ مِنَ المَوْت

يفلسفُ الشَّاعرُ أمل دنقل جدليَّةَ الثّنائيّةِ الضّدّيّةِ بينَ (الأبيض والأسود)، ويحاولُ توجيهَ الدَّلالةِ بمقصديَّةٍ معيَّنةٍ تخرجُ مِنْ ربقةِ الدِّلالاتِ النّفسيّةِ الخارجيّةِ الموجّهةِ، فكلُّ شيءٍ فِي المَشْفَى وَفِي (أوراق الغرفة 8) هُوَ أبيضُ اللَّونِ؛ وَمِنْ ذلكَ لَوْنُ الأَسِرَّةِ...، لَقَدْ عَكَسَ أمل دنقل لَوْنَ شعورِهِ عَلَى الأَشياءِ؛ فَجَرَّدَهَا مِنْ كُلِّ الأَلْوَانِ وَلَوَّنَهَا بالبياضِ، ولكنّهُ البياضُ المختصُّ بأشياءِ المَشْفَى، وليسَ بياضاً يرتبطُ بسياقٍ نَصِّيٍّ آخَر؛ وَلِهَذَا تَوَجَّهَتْ رمزيَّةُ اللَّوْنِ صَوْبَ دلالةِ الموتِ، بينَمَا عَكَسَ الشَّاعِرُ دلالةَ لونِ السّوادِ باتّجاهٍ يُنَاقِضُ دلالَتَهُ العُرْفِيَّةَ حينَ قَالَ:

فالمعزُّونَ يرتدونَ الثِّيابَ السّوداءَ، وَتَسَاؤُلُ الشَّاعِرِ ينمُّ عَلَى كُرْهِهِ لبَيَاضِ المَشْفَى، وَلِسُكُوْنِ أيّامِهِ فِي الغرفةِ رقم(8)؛ مِنْ هُنَا أرادَ أَنْ يُحَمِّلَ السَّوَادَ حَرَكِيَّةً ضِدِّيَّةً. ثمّ تَصِلُ الضِّدِّيَّةُ إِلَى ذُرْوَتِها حِيْنَ يَبْدَأُ المَقْطَعُ الثَّانِي المُكَثِّفُ لِعُنْوَانِ القَصِيْدَةِ بالكَلِماتِ : (ضدّ مَنْ...؟) إنَّهَا ثُنَائِيَّةٌ تَكْشفُ عَنْ تَنَازُعَاتٍ وُجْدَانِيَّةٍ عَمِيْقَةٍ تُعَبِّرُ عَنْ جَدَلِيَّةِ الوُجُوْدِ وَقَدْ تَجَسَّدَتْ في الصّراعِ بينَ البَيَاضِ والسَّواد، الموتِ

والحياةِ، الصّمتِ والحركةِ، الثَّباتِ والتَّغَيُّرِ...، ويتضمَّنُ أسلوبُ الاستفهامِ – بالإضافةِ إلى بياضِ الكتابةِ – إيحاءاتٍ نَصِّيَّةً كثيرةً تُثْرِي النَّصَّ وتنقلُهُ إلى فضائِهِ الشَّاعِرِيِّ المُحَلِّقِ؛ فقدْ تكونُ الإجابةُ في تأمُّلِ التّساؤلاتِ الآتِيَةِ: ضدّ مَنْ هذهِ المعركةُ بينَ بياضِ الموتِ وسوادِ الحِداد؟ أو ضدّ مَنْ اجتمعَ بياضُ الموتِ وسوادُ العزاء؟ هَلْ هُوَ لِقَتْلِي، لِمَوْتِي، لِمُعَانَاتِي، لِمَرَضِي؟ هَلْ هذهِ الأشياءُ ضدّ الإنسانِ عَلَى نَحْوٍ عامٍّ؛ ضدّ الحياةِ والفرح...إلخ؟. إنَّ قلبَ أمل دنقل يخفقُ دائماً، وَمَا ذلكَ إلَّا بسببِ النّقائِضِ القابعةِ في الوجودِ والمُؤَثِّرةِ الفاعلةِ على نَحْوٍ حَدِّيٍّ مُبَاغِتٍ؛ أَيْ أَنَّ الشّاعِرَ قَلْبٌ يُكَثِّفُ قَلَقَ الوجودِ المضطَرِبِ؛ ذلكَ القَلَقُ الذي يُزِيْحُ أَيَّةَ مسافةٍ للاستقرارِ/ الاطْمِئْنَانِ.

ويجيءُ المقطعُ الأخيرُ الذي تعدلُ قي أثنائِهِ صورةُ **السَّرِيْرِ** المكتنزَةُ التي تحوَّلَتْ كثنائيَّةٍ ضدّيَّةٍ **(صاحبُ السّريرِ، والسّريرُ / القَبْرُ + المريضُ الحَيُّ، والسَّرِيْرُ / المكانُ / القَبْرُ)** إلى مكانٍ أصبحَ مَزَاراً للأصدقاءِ، وأيقونةً رمزيَّةً مُقَدَّسَةً، وهنا لَمْ يعدِ السَّريرُ قبراً مادِّيّاً فيزيقيّاً خارجيّاً، بَلْ أصبحَ رمزاً لِلْحَالِّ بِهِ؛ أَيْ لأَمَل دُنْقُل الشَّاعر الرّفيق المناضل الذي انحازَ إلى فقراءِ المصريّين، لا بَلْ إلى فقراءِ العالمِ، لَمْ يعدِ السّريرُ المخصوصُ شيئاً اعتياديّاً إنّهُ ارتقى بفعلِ استقبالِهِ لصوتٍ شعريٍّ إنسانيّ الرّوحِ والحبِّ والعبيرِ والإشراق. مِنْ هنا صارَ السّريرُ قبراً مشحوناً بذكرياتٍ نضاليّةٍ وشعريّةٍ مُحَفِّزَةٍ وَغَدَتْ حياةُ الشَّاعِرِ خالِدةً، فَفِي البدءِ كانتِ الكلمةُ، فكيفَ إذا كانتِ الكلمةُ ذاتَ ملامحَ أيديولوجيّةٍ إنسانيّةٍ تنضحُ بالخيرِ والأَمَلِ والتّفاؤُلِ والتّغييرِ؟!

وفي القصيدةِ المَوْسومَةِ بِعُنْوانِ**(السرير)**، نذكر منها:

أَوْهَمُوْنِي بِأَنَّ السَّرِيْرَ سَرِيْرِي
أَنَّ قَارِبَ (رَعْ)
سَوْفَ ـ يَحْمِلُنِي عبْرَ نَهْرِ الأَفَاعِي
لِأُوْلَدَ فِي الصُّبْحِ ثَانِيَةً.. إِنْ سَطَعْ

...

أَوْهَمُوْنِي فَصَدَّقْتُ...

(هَذَا السَّرِيْرُ

ظَنَّنِي _ مِثْلَهُ _ فَاقِدَ الرُّوْحِ

فَالْتَصَقَتْ بِي أَضْلَاعُهُ

والجَمَادُ يَضُمُّ الجَمَادَ لِيَحْمِيهِ مِنْ مُوَاجَهَةِ النَّاس !)

صِرْتُ أَنَا والسَّرِيْرْ

جَسَداً وَاحِداً فِي انْتِظَارِ المَصِير !

...

صِرْتُ أَقْدِرُ أَنْ أَتَقَلَّبَ فِي نَوْمَتِي وَاضْطِجَاعِيْ

أَنْ أُحَرِّكَ نَحْوَ الطَّعَامِ ذِرَاعِيْ..

وَاسْتَبَانَ السَّرِيْرُ خِدَاعِيْ..

فَارْتَعَشْ !

وَتَدَاخَلَ _ كَالْقُنْفُذِ الحَجَرِيِّ _ عَلَى صَمْتِهِ وَانْكَمَشْ

قُلْتُ: يَا سَيِّدِيْ.. لِمَ جَافَيْتَنِيْ ؟

قَالَ: هَا أَنْتَ كَلَّمْتَنِيْ..

وَأَنَا لَا أُجِيْبُ الذِيْنَ يَمُرُّوْنَ فَوْقِيْ

سِوَى بِالْأَنِينْ [1]

تُكَوِّنُ الثّنائيّاتُ الضّدّيّةُ البُنْيَةَ العميقَةَ لشفرةِ النَّصِّ الدّنقليِّ: وَتَحَوُّلُ هذهِ الشّفرةِ يقومُ عَلَى تَحَوُّلِ الثّنائيّةِ الضّدّيّةِ عَلَى المستوَى الفنّيِّ مِنْ خلالِ تجاوزِ هذهِ الثّنائيّاتِ البعدَ الحَدِّيَّ السّكونِيَّ، كَمَا أَنَّنَا نلاحظُ أَنَّ هذهِ الثّنائيّاتِ تنتمِي إِلَى حقولٍ دِلَاليَّةٍ متقاربةٍ _ إِنْ لَمْ نَقُلْ واحدةً _ تجمعُ طَرَفَيِّ الثّنائيّةِ وَتُلْغِي حَدَّيْهَا.

[1] – دنقل ، أمل ، الأعمال الشعرية (قصيدة السّرير) ، ص444← 446.

تَنْبَنِيْ قصيدةُ (**السَّرِيْر**) عَلَى ثنائيّةِ (الأَنَا) – (الآخَر)، وتسودُ بينَ طَرَفَيْهَا علاقةٌ زمانيَّةٌ (الحاضر – المستقبل).

أَوْهَمُوْنِي بِأَنَّ السَّرِيْرَ سَرِيْرِي
أَنَّ قَارِبَ (رَعْ)
سَوْفَ ـ يَحْمِلُنِي عبْرَ نَهْرِ الأَفَاعِي
لِأُوْلَدَ فِي الصُّبْحِ ثَانِيَةً.. إِنْ سَطَعْ

أوهمونِي (هُمْ) فهذا الوَهْمُ بدأَ في الماضِي لكنّهُ مستمرٌّ في الحاضرِ، وكانَ هذا الوَهْمُ في المستقبلِ (سَوْفَ)، ويأتِي قَارِبُ الإله (رَعْ) فِيْ مَشْهَدِيَّتِهِ الأُسْطُوْرِيَّةِ ليؤدِّي دوراً تَوَسُطِيّاً بينَ الزّمانينِ، وبينَ (هُمْ) و(أَنَا)، ويتأكّدُ الدّورُ التّوسطيُّ دِلَالِيّاً فِي حَمْلِهِ (الوَهْم) مِنْ (هُمْ) إِلَى (الأَنَا)، وكذلكَ يتأكّدُ لغويّاً فِي الضّميرينِ: (هُمْ) و(أَنَا) ؛ فالكَلِماتُ المَجْبُوْلةُ بِسِحْرِ المُتَخَيَّلِ القَادِرِ عَلَى الإِحْيَاءِ تسيطرُ عَلَى الفردِ(الأَنَا) وَتُقْنِعُهُ بِالْوَهْمِ، ولكنَّهُ الوَهْمُ المُحَبَّبُ الذي يستغرقُ الشّاعرُ في تَأَمُّلِ مفرداتِهِ (**لِأُوْلَدَ، الصُّبْحِ، ثَانِيَةً، سَطَعْ**)، وَهُوَ– في الوَقْتِ ذَاتِهِ – يَنْتَظِرُ فِي كُلِّ ثّانِيَةٍ تَحَقُّقَ سُطُوْعِهِ وإِحْيَائِهِ.

فالوهمُ عكسُ الحقيقةِ، لكنَّ ارتباطَ الوهمِ بضميرِ الجماعةِ (هُمْ) مَنَحَهُ قُوَّةَ الحقيقةِ، فأصبحَ قابِلاً للتَّصديقِ؛ أَيْ سيطرَ ضميرُ الجماعةِ (هُمْ) عَلَى (الأَنَا) مِمَّا يوحِي بضعفِ (الأنا) واستسلامِهِ لِخَيَالِه. واختراقُ (هُمْ) لِحصْنِ (الأَنَا) يُؤَكِّدُ أَنَّ الوجودَ الجماعيَّ بِكُلِّ أشكالِهِ يستثيرُ فِي بنيةِ القصيدةِ حِسّاً بِالقَهْرِ، والصِّراعِ، والارتباطِ بالمجهولِ، وهذا نقيضٌ لوجودِ الذَّاتِ الفرديَّةِ الحُرَّةِ، بَيْدَ أَنَّ ثَمَّةَ نقاطَ تَلَاقٍ عميقةً بينَ الخَطَّيْنِ، تُوَلِّدُ بُؤَرَ تَنَازُعَاتٍ انفعاليّةٍ، وَتُبَلْوِرُ حِسّاً دراميّاً، فَتُشَكِّلُ استجابةُ الـ(أَنَا) لـ (الهُمْ) صدمةَ الحسِّ المأساويِّ باحتمالِ الموتِ وَيتَعَزَّزُ خَطُّ المأساةِ فِي علاقةِ الجَسَدِ بالسَّرِيْرِ:

صِرْتُ أَنَا والسَّرِيرْ
جَسَداً وَاحِداً فِي انْتِظَارِ المَصِير !

فحينَ تتمُّ الاستجابةُ، يتمُّ الانتقالُ، ويكتملُ التّوسّطُ بينَ **(هُمْ) أَوْهَمُونِي** وَ **فصدّقت (أَنَا)**، ويتمُّ التَّحَوُّلُ التَّامُّ الذي يلغِي حدودَ الثّنائيّةِ، ولكنْ مَنِ الذِي تَحَوَّلَ هَلِ السَّريرُ، أَمْ مَنْ عَلَى السَّرير؟

إنَّ التحوّلَ يصيبُ المريضَ فاقدَ الرُّوحِ، والجَمَادُ يضمُّ الجماد:

فَالْأَسِرَّةُ دَائِمَةٌ

وَالْذِيْنَ يَنَامُونَ سُرْعَانَ مَا يَنْزِلُونْ

جَلِيٌّ أَنَّ البُنْيَةَ الدِّلَاليّةَ للقصيدةِ تتمحورُ حولَ عنصريِّ الثّنائيّةِ الضّدّيّةِ التَّشَابُهِ / التَّضَادِّ، اللَّذَيْنِ يُوَحِّدانِ بينَ عناصرِ النَّسَقِ عِنْدَمَا يُقَرِّرُ السَّطْرُ الحادي عشر/11/ أنّ الإنسانَ فَاقِدَ الرُّوْحِ:

ظَنَنِي _ مِثْلَهُ _ فَاقِدَ الرُّوْحِ

وبتسميةِ القصيدةِ الإنسانَ جماداً فإنَّهَا تخلقُ حِسّاً بالتَّوَتُّرِ والتّضادِّ، فَكُلُّ مَا يُقَالُ عَنِ الأشياءِ قَدْ يُقَالُ عَنِ الإنسانِ، وَلكنَّ الإنسانَ ليسَ شيئاً جامِداً، ويأتِي عنصرُ التّضادِّ والتَّغايرِ بينَ الإنسانِ والسّريرِ عَنْ طَرِيْقِ _ دَيْمُوْمَةِ السَّرِيْرِ وَزَوَالِ الإنْسَانِ المَرِيْضِ: فالأَسِرَّةُ دائمةٌ / والذينَ ينامونَ سرعانَ مَا ينزلونْ.

وتتمحورُ الثّنائيّاتُ الضّدّيّةُ فِي أسطرِ القصيدةِ **(السَّرِيْرُ)** حولَ جَدَلِيَّةِ الحياةِ والموت، فَمِنَ الملحوظِ أَنَّ هذهِ الثّنائيّاتِ تتحرّكُ في فضاءٍ مِنَ التّصوّراتِ الأساسيَّةِ للوجودِ الإنسانيِّ، وَفِي فضاءٍ مِنَ التَّوَتُّرِ الحَادِّ والمشدودِ بينَ الموتِ، ومقاومةِ الموتِ، بينَ الأملِ واليأسِ، ليتقاطعَ طَرَفَا الثّنائيَّةِ فِي نقاطٍ رئيسةٍ تزيدُ مِنْ مأساويَّةِ اللّحظةِ وشموليَّتِهَا؛ إِذْ مِنْ خلالِ هذهِ الثّنائيّةِ يتّضحُ الموقفُ مِنَ الزَّمَنِ، وَهُنَا تنقسمُ رؤيةُ الشّاعرِ تِبْعاً لتعاقبِ الماضِي والحاضرِ، والمستقبلِ.

وَقَدْ عَمَدَ الشَّاعِرُ إِلى توصيلِ دِلَالَاتٍ متجانسةً "بواسطةِ حلِّ المعطياتِ المرجعيّةِ المتناقضةِ فِي تركيبةٍ واحدةٍ تذوبُ خِلَالَهَا حِدَّةُ المُفَارَقَةِ" [1] فِي لَحْظَةِ الوَجْدِ الإِنْسَانِيَّةِ:

(هَذَا السَّرِيْرُ
ظَنَّنِي _ مِثْلَهُ _ فَاقِدَ الرُّوْحِ
فَالْتَصَقَتْ بِي أَضْلَاعُهُ
والجَمَادُ يَضُمُّ الجَمَادَ لِيَحْمِيهِ مِنْ مُوَاجَهَةِ النَّاس !)
صِرْتُ أَنَا والسَّرِيرْ
جَسَداً وَاحِداً فِي انْتِظَارِ المَصِير !

ثَمَّةَ نقطةٌ جوهريٌّة هِيَ التِي تُكَمِّلُ الرُّؤْيَا، فالبدايةُ والنّهايةُ قَدَرٌ مَحْتُوْمٌ، وَبِتَوَحُّدِ الهُوِيَّةِ بينَ السّريرِ والشّاعِرِ/الجَمَادِ يَتَوَحَّدُ الحَدَثُ المُوَلِّدُ للصّرخةِ التِي تُقَرِّبُ بَيْنَ الاستجابةِ لِفِعْلِ المَوْتِ والاستجابةِ لِفِعْلِ الحَيَاةِ وينعكسُ هذا التَّوَازُنُ فِي تَوازِي الفِعْلَيْنِ:

صِرْتُ أَقْدِرُ أَنْ أَتَقَلَّبَ فَي نَوْمَتِي وَاضْطِجَاعِيْ

ويأتِي استخدامُ **(واو)** العطفِ لِيوازيَ بينَ حَالَتَيِّ **(النّوم)** و**(الاضطجاع)**؛ مِمَّا يُعْطِي الثّنائيَّةَ صفةَ الشّموليّةِ والاتّجاهِ وِفْقَ خَطٍّ واحدٍ غيرِ متناقضٍ عَلَى المُسْتَوَى الرَّأْسِيِّ، وَلِيَشِيَ بِإِلْغَاءِ الحدودِ بينَ طَرَفَيِّ الثُّنَائِيَّةِ؛ وَهَذَا يعمّقُ فَضَاءَ الرّؤيَا الأساسيّةِ للكينونَةِ الإنسانيَّةِ عَلَى صعيدِ التَّقَارُبِ بينَ هوتيْ الحياةِ والموت.

وَالْذِيْنَ يَنَامُونَ سُرْعَانَ مَا يَنْزِلُونْ
نَحْوَ نَهْرِ الحَيَاةِ لِكَيْ يَسْبَحُوا
أَوْ يَغُوصُوا بِنَهْرِ السُّكُونْ ! [2]

---

[1] – المسّاويّ، عبد السّلام، البنيات الدّالّة في شعر أمل دنقل، منشورات اتّحاد الكتّاب العرب، دمشق، 1994م ، ص114.

[2] – دنقل، أمل، الأعمال الشّعريّة الكاملة، ص 446.

إنَّ هذا الكلامَ يأتَي لِيُعَمِّقَ مُسْتَوَى التَّصَوُّرَاتِ التِي سيطرتْ عَلَى القصيدةِ، ويبرزُ هَذَا التَّعميقُ مِنْ خلالِ انْتِقَالِها إِلِى المَصِيْرِ، الذي يزيل الحدود بينّ طَرَفَيِّ الثّنائيّةِ؛ فالموتُ يمرُّ عبرَ الحياةِ، فَلَا مَوْتَ إِلَّا بَعْدَ الحياةِ، فالحياةُ والموتُ **(نَهْرٌ)** والاختلافُ يكمنُ فِي دَرَجَاتِ الحَرَكَةِ، وَفِي تَوَجُّهِها، و**(الغَوْصُ)**؛ وَجْهٌ مِنْ أوجهِ السِّبَاحَةِ، إِنَّ المصيرَ نقطةُ تقاطعٍ بينَ الحياةِ والموتِ، وَهُنَا تبرزُ رؤيةُ الشَّاعِرِ للموتِ عَلَى نَحْوٍ واضحٍ، فالموتُ لا ينفصلُ عَنِ الحياةِ، بَلْ يتعالقُ مَعَ الحياةِ، وَعَلَى هَذَا نَقُوْلُ: إنَّ الصّورةَ القائمةَ عَلَى الثُّنَائِيَّاتِ الضِّدِّيَّةِ تُشَكِّلُ وحدةً متفاعلةً فِي شِعْرِ أمل دنقل.

ويُمَثِّلُ تفاعلُ الدِّلَالاتِ داخلَ السِّياقِ الذي تردُ فيهِ الدَّوْرَ الأساسَ فِي فِعْلِ القراءةِ وَفَهْمِ الطّبيعةِ الإيحائيّةِ التِي تَنْمازُ بِهَا طبيعةُ الثُّنائيَّةِ الضّدّيّةِ فِي شِعْرِ أمل دنقل.

وَعَلَى هَذَا الأساسِ فإنَّ العلاقةَ القائمةَ بينَ طَرَفَيِّ الثّنائيّةِ فِي النّصِّ (الدّنْقُلِيِّ) ليستْ علاقةَ تعارضٍ، وتضادٍّ بَلْ علاقةُ تفاعلٍ وتكاملٍ تستوعبُ البنياتِ الشّعوريَّةَ، والتَّصوريّةَ، والأيديولوجيَّةَ، وتأتِي البُنْيَةُ الصَّوْتِيَّةُ للأسطرِ الشّعريّةِ لتخلقَ حِسّاً عميقاً بالتّرابطِ والاتِّسَاقِ والتّناغمِ المصقولِ المجهول:

"**اضْطجِاعِي، ذِراعِي، خداعِي**"

"**ارْتَعَشْ، انْكَمَشْ**"

"**يَنْزِلُون، يَنَامُون**"

إنَّ التَّوَافُقَ الصَّوْتِيَّ والإيقاعيَّ يتيحُ الفرصةَ لاتّصالِ الطَّرَفَيْنِ فِي مستوَى دِلَاليٍّ عميقٍ ليصبحَ الطَّرَفُ الثَّانِي امتداداً مشروعاً لدلالةِ الطَّرَفِ الأَوَّلِ.

فالرُّؤْيَا الشّعريّةُ توحِّدُ بينَ نقيضينِ، وتُجَذِّرُ الحضورَ فِي الغيابِ، كَمَا تُجَذِّرُ الغيابَ فِي الحُضُور.

وتتنامَى سلسلةُ الثّنائيّاتِ الضّدّيّة مِنْ خلالِ مجموعةِ الأفعالِ: "**أَوْهَمُونِي، صَدَّقْتُ، الْتَصَقَتْ، صرتُ، يحملُنِي، يضمُّ، نلتفُّ، أَتَقَلَّب، يمرّونَ، يناموَنَ، ينزلون، يسبحُوا، يغوصُوا**" فالانتقالُ الزَّمَانِيُّ بينَ الماضِي والحاضرِ والمستقبلِ يحملُ مأساويَّةَ التَّحَوُّلِ، وَتَرَقُّبَ فاعليَّةَ الوَهْمِ والتّغييرَ الاجتماعيَّ والسِّياسيَّ؛ وَهَذَا مَا يجعلُ الحَدَثَ طَاغِياً عَلَى الذَّاتِ، وتصبحُ الرّؤيةُ تعريةً للأعماقِ، ورحلةً فِي تَحَوُّلِ الوجود.

بهذهِ الصّورةِ تتكاملُ الثّنائيّةُ الضّدّيّةُ (**الحياةُ / السّكونُ**) تكاملاً مطلقاً يتجسّدُ فِي العَلَاقَةِ بالنَّهْرِ، فَعَلَى المُسْتَوَى الأفقيِّ نَجِدُ أَنَّ التَّمَظْهُرَ الأوّلَ (**نَهْرُ الحَيَاةِ**) يَبْدُو نقيضاً للتَّمَظْهُرِ الثَّانِي (**نَهْرُ السُّكُوْنِ**)، أَمَّا عَلَى المستوَى الرَّأسِيِّ فإنَّ الحياةَ والسُّكونَ وجهانِ لشيءٍ واحدٍ / النّهر؛ أَيْ أَنَّ الشَّيْءَ الواحدَ يصبحُ الأمرَ ونقيضَهُ بينَ لحظةٍ وَأُخْرَى، وَتُعَمِّقُ هذهِ الصّورةُ محورَ التّحوّلِ الرَّئِيْسِ فِي القصيدةِ، وتتكاملُ هَاتَانِ الصُّورَتَانِ عَلَى امتدادِ أَسْطُرِ القصيدةِ، إِنْ لَمْ نَقُلْ عَلَى امْتِدَادِ أعمالِ (أمل دنقل) الأخيرةِ، التِي تُنَمِّي مفهومَ التَّداخلِ بينَ الأضدادِ فَتَتَلَاشَى الحدودُ المُعْجَمِيَّةُ الاعْتِيَادِيَّةُ، لتكونَ النِّهايةُ سُكُوْناً / مَوْتاً مُطْلَقاً، أَو اسْتِغْراقاً فِي المُتَخَيَّلِ الثَّوْرِيِّ / الأَمَلِ الجَمِيْلِ، فَثُنَائِيَّةُ المَعْنَى فِي كلمةِ (**نَهْر**) المُتَكَافِئَةِ بينَ الحياةِ والموتِ، أَوْ بينَ الوعيِ الكامنِ داخلَ الإنسانِ لحقيقةِ الحياةِ والموتِ والخوفِ مِنْ هذهِ الحالةِ؛ إِنَّ تِلكَ الثُّنَائِيَّةَ تتيحُ الفرصةَ لاتِّصّالِ المَجَالَيْنِ فِي مُسْتَوَى دِلَالِيٍّ عَامُوْدِيٍّ عَمِيْقٍ، فليستْ هناكَ قَضِيَّةٌ أَرْغَمَتِ الإنسانَ عَلَى أَنْ يعيشَ فوقَ حَافَّةِ التَّوَتُّرِ والتَّحَفُّزِ مِثْلَ مأساةِ المَوْتِ.

إِنَّ التّقابلَ فِي سيمياءِ الشِّعْرِ الحديثِ تَقَابُلٌ عُضْوِيٌّ وَكَيْنُوْنِيٌّ مِحْوَرُهُ الرَّئيسُ (الإنسانُ)، وَهُوَ – في الآنِ ذَاتِهِ– تَقَابُلُ التَّحَوُّلِ وَتَقَابُلُ الرُّؤْيَا، إِنَّهُ يقولُ شيئاً ليستحضرَ شيئاً آَخَرَ، فالحضورُ يَسْتَدْعِي الغيابَ؛ أَيْ تَتَعَمَّقُ فِي أَثْنَاءِ التَّحَقُّقِ الشَّاعِرِيِّ– الدِّلَالَةُ بِنَقِيْضِهَا.

الخَاتِمَةُ (نَتَائِجُ البَحْثِ):

إنَّ تَحْليلَ الثُّنَائِيَّاتِ الضِّدِّيَّةَ فِي النُّصُوْصِ الدّنقُلِيَّةِ السّابقةِ – وَإِنْ جاءَتْ نِسْبِيَّةً؛ نَظَراً لاقْتِصَارِهَا عَلَى ديوانِ (الغرفة رقم 8) – يُمْكِنُ أَنْ يَقُوْدَنَا إِلَى المَلْحُوْظَاتِ المُكَثَّفَةِ الآتِيَةِ:

1– لَمْ تَكُنِ الثُّنَائِيَّاتُ الضِّدِّيَّةُ بُنًى مُنْعَزِلَةً عَنْ سِيَاقَاتِهَا النَّصِّيَّةِ مِنْ نَاحِيَةٍ، وَعَنْ تَفَاعُلاتِهَا مَعَ البُنَى اللُّغَوِيَّةِ المُجَاوِرَةِ مِنْ نَاحِيَةٍ أُخْرَى.

2– دَلَّلَتْ تَكْرَارَاتُ تِيْمَةِ السَّفَرِ التي تَوَسَّدَتْهَا الثُّنَائِيَّاتُ الضِّدِّيَّةُ عَلَى غَلَبَةِ النَّماذِجِ ذَاتِ المُوَاصَفَاتِ الشِّعْرِيَّةِ(poetics)؛ إِذِ انْزَاحَتْ مَدْلُولَاتُهَا نَاقِلَةً اللُّغَةَ المُتَحَقِّقَةَ مِنْ مَنْطِقَةِ النَّصِّ /الخَبَرِ إلى مَنْطِقَةِ النَّصِّ/ الأَثَرِ.

3– يَنْحازُ النَّصُّ الدّنقليُّ إلى مُعْطَيَاتٍ مَضْمُوْنِيَّةٍ واقِعِيَّةٍ تَنْشُدُ التَّغْييرَ الثَّوْرِيَّ؛ وَهُنَا تُؤَدِّي الرُّؤَى الأيديُوْلُوجِيَّةِ السِّيَاسيةِ التي آمَنَ بِهَا الشَّاعِرُ دَوْراً مُهِمّاً فِي سِياقِ الانتصارِ لِجَمَاعَةِ المَظْلُوْمِيْنَ، لِلأَرْضِ، للإِنْسَانِ، لِلْعَدالَةِ الاجْتِمَاعِيَّةِ المُثْلَى.

4– لا يَسْتَطِيْعُ المُحَلِّلُ النَّصِّيُّ الوقوفَ عَلَى ظَاهِرَةِ الثُّنَائِيَّاتِ الضِّدِّيَّةِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَتَحَسَّسَ المُعْطَى المَضْمُوْنِيَّ لِتَجْرِبَةِ أمل دنقل الشِّعْرِيَّةِ عَلَى نَحْوٍ كُلِّيٍّ، وَهُنَا يَنْفَتِحُ الاسْتِنْطَاقُ الدِّلَالِيُّ عَلَى (الدَّاخِلِ –الخَارِجِ النَّصِّيِّ)؛ أَيْ عَلَى فَضَاءِ النَّصِّ الذِي يَظَلُّ إِبْدَاعُهُ بِكْراً عَلَى القِرَاءَاتِ النَّاضِجَةِ.

5– لَقَدْ وَجَدَ البَحْثُ أَنَّ مَفْهُوْمَ الثُّنَائِيَّاتِ الضِّدِّيَّةِ لَيْسَ أَدَاةً إِجْرَائِيَّةً للتَّحْلِيْلِ النَّصِّيِّ فَقَطْ، بل هُوَ –أيضاً – مَفْهُوْمٌ يَمْتَحُ مِنْ معطَيَاتٍ لُغَوِيَّةٍ ثَرَّةٍ مَعْرِفَةً وتَطبيقاً؛ وَلَا سيَّمَا مُعْطَيَاتِ الدَّرْسِ السِّيْمْيَائِيِّ المُعَاصِرِ.

6- يمكنُ استخلاصُ بعضِ الأبعادِ الوظيفيَّةِ للثّنائيّاتِ الضِّدِّيَّةِ التي تَجَلَّتْ فِي أَثْنَاءِ التَّحليلِ النّصِّي لصورةِ السَّريرِ عَلَى النَّحْوِ الآتِي:

- إثارةُ الحَرَكِيَّةِ فِي النَّصِّ، وإنتاجُ الدِّلَالَةِ الخِصْبَةِ.
- زيادةُ عُمْقِ الدِّلَالَاتِ مِنْ خلالِ حضورِ عَلَامَاتِيَّةِ النَّقيضِ، أَوْ مِنْ خِلالِ استحضارِ الدِّلَالَةِ الغائبةِ التِي تَشِي بِهَا تَجْرِبَةُ الشَّاعِر؛ لتستحيلَ الثُّنَائِيَّاتُ الضِّدِّيَّةُ إِلَى عَلَاقَةٍ مفتوحةِ الأبعادِ.

فهرس المصادر والمراجع

1- أمل دنقل، الأعمال الشّعرية الكاملة، مكتبة مدبولي، لا. ط، لا.ت.

Amal Dunqul, The Complete Poetic Works, Madbouly Library, no. T, no. T.

2- أدونيس، سياسة الشِّعر، دراسات في الشِّعريّةِ العربيّةِ المُعاصِرَة، دار الآداب، بيروت، ط1، 1985م.

Adonis, Politics of Poetry, Studies in Contemporary Arabic Poetry, Dar Al-Adab, Beirut, 1, 1, 1985 AD.

3- حرّ العين، خيرة، جدل الحداثة في نقد الشّعر العربيّ، اتّحاد الكتّاب العرب، دمشق، ط1، 1996م.

Hurr Al-Ain, Khaira, The Controversy of Modernity in Criticism of Arabic Poetry, Union of Arab Writers, Damascus, 1, 1996 AD.

4- خيربك، كمال، حركة الحداثة في الشّعر العربيّ المعاصر، ترجمة: لجنة من أصدقاء المؤلّف، دار الفكر، بيروت، ط2، 1993م.

Khairbek, Kamal, The Modernity Movement in Contemporary Arabic Poetry, translated by: a committee of the author's friends, Dar Al-Fikr, Beirut, 2, 1993 AD.

5- الدّيّوب، سمر، الثُّنائيّاتُ الضّدِّيَّةُ - دراساتٌ في الشِّعْرِ القديمِ، وزارةُ الثّقافةِ، دمشق، ط1، 2009م.

Al-Dyoob, Samar, Opposite Dualities - Studies in Ancient Poetry, Ministry of Culture, Damascus, 1, 2009 AD.

6- الشّمعة، خلدون، النّقد والحريّة، منشورات اتّحاد الكتّاب العرب، دمشق، 1977م.

Al-Sham'a, Khaldoun, Criticism and Freedom, Publications of the Arab Writers Union, Damascus, 1977.

7- الغذامي، عبد الله، الخطيئة والتّكفير، الهيئة المصريّة للكتاب، القاهرة، ط4، 1998م.

Al-Ghadami, Abdullah, Sin and Atonement, The Egyptian Book Authority, Cairo, 4th edition, 1998 AD.

8- الغذامي، عبد الله، القصيدة والنّصّ المضادّ، المركز الثّقافي العربيّ، بيروت، ط1، 1984م.

Al-Ghadami, Abdullah, the poem and the counter-text, the Arab Cultural Center, Beirut, 1st edition, 1984 AD.

9- كوين، جون، اللّغة العليا، ترجمة: أحمد درويش، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1993.

Quinn, John, The Higher Language, translated by: Ahmed Darwish, Dar Al Maaref, Cairo, 3rd edition, 1993.

10- المسّاوي، عبد السّلام، البنيات الدّالّة في شعر أمل دنقل، منشورات اتّحاد الكتّاب العرب، دمشق، 1994م.

Al-Masawi, Abdel Salam, Significant Structures in the Poetry of Amal Dunqul, Publications of the Arab Writers Union, Damascus, 1994 AD.

11- مفتاح، محمد، تحليل الخطاب الشّعريّ، دار التّنوير، بيروت، لبنان، ط1، 1985م.

Muftah, Muhammad Poetic Discourse Analysis, Dar al-Tanweer, Beirut, Lebanon, 1, 1985 AD.

12- مكّاوي، عبد الغفّار، ثورة الشّعر الحديث، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، القاهرة، ط2، 1998م.

Makkawi, Abdel Ghaffar, The Revolution of Modern Poetry, The General Egyptian Book Authority, Cairo, 2nd Edition, 1998 AD.

13- هوجو فريدريش، بناء الشّعر الحديث، دار روفولت، هامبورغ، ط2، 1968م.

Hugo Friedrich, The Structure of Modern Poetry, Roofault House, Hamburg, 2nd Edition, 1968 AD.

• **الدّوريّات:**

1- مجلة فصول، المجلّد الأوّل، العدد (4)، منشورات الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، 1984م.

Fosoul Magazine, Volume One, Issue (4), Publications of the General Egyptian Book Authority, 1984 AD.

2- مجلّة الفصول الأربعة، السّنة (6)، العدد (21)، منشورات رابطة الأدباء والكتّاب والفنّانين، الجماهيريّة العربيّة اللّيبيّة الشّعبيّة.

The Four Seasons Magazine, Year (6), No. (21), Publications of the Association of Writers, Writers and Artists, the Libyan Arab Jamahiriya.

3- عالم المعرفة، العدد (258)، حزيران، 2000م، منشورات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.

The World of Knowledge, No. (258), June, 2000, Publications of the National Council for Culture, Arts and Letters, Kuwait.